

تأبَّط خيراً
قراءات متفرقة (٣)

محبوب
الإصدار الحادي والأربعون

عَزَّ الحِمَى

وَأَعَزُّ مِنْهُ الحَامِي



بقلم

سُلْطَانُ بْنُ مُبَارَكِ بْنِ حَمْدِ الشَّيْبَانِيِّ

سلسلة: تأيظ خيراء؛ قراءات متفرقة

الحلقة الثالثة

عزّ الحبيّ .. وأعزّ منه الحامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرقمية الأولى

ربيع الأول ١٤٤٤هـ / أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٢٢م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي

مسقط / سلطنة عُمان

البريد الإلكتروني:

mahboub.pd@gmail.com

عَزَّ الْجَمِي
وَأَعَزُّ مِنْهُ الْحَامِي

فهرس المحتويات

| | |
|----|--|
| ٤ | • تمهيد |
| ٥ | • تصدير |
| ٥ | [أ] خَلَا لَكَ الْجَوَّ.. |
| ٥ | ١. التنصير بين الدين والسياسة |
| ٦ | ٢. ريموند لول: رائد التنصير في العالم الإسلامي |
| ٧ | ٣. تداعى الأكلة إلى قصعتها |
| ٨ | ٤. الدكتور فاندر وكتابه ميزان الحق |
| ١٢ | [ب] المسيح أو محمد.. بأيهما نشق؟! |
| ١٢ | ١. صموئيل زويمر |
| ٢٠ | ٢. المطابع في خدمة التنصير |
| ٢١ | ٣. مطبعة الإرسالية الأميركية بمسقط |
| ٢٦ | [ج] إلا رسول الله |
| ٢٦ | ١. محمد صلى الله عليه وسلم في الكتابات الهندية |
| ٢٨ | ٢. الوحدة المحمدية والوحدة الناصرية! |
| ٣٠ | ٣. ماذا تريد أن تسمع من فاسق؟ |
| ٣٤ | ٤. القادم من الصحراء إلى البشرية! |
| ٤٢ | [د] خاتمة |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
 وعلى آله وصحبه ومن والاه

● تمهيد:

هذه قراءات متفرقة، قد تكون بعيدة - شيئاً ما - عن اهتماماتي في التراث والتاريخ، غير أنني لا أحبُّ تفويت شواردها، فأعمد إلى تقييد فوائدها. وهي لا تعدو أن تكون جمعاً لشتاتٍ، أو تلخيصاً لفكرة، أو عرضاً لمحتوى كتاب وقعت عيني عليه في مطالعات عابرة. والكتاب خير جليس، وأحسن أنيس، وصاحبٌ لا يُملُّ في الأسفار، ورفيقٌ في جلسات الانتظار، ولو لم يكن في الكتاب إلا أنك ترى فيه نتاج القرائح، وثمرات العقول، وخلاصة التجارب؛ لكفى. لخص ذلك وزيادةً أبو عثمان الجاحظ حين قال: «والكتاب وعاءٌ مليءٌ عِلْمًا، وَظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفًا، وَإِنَاءٌ شَحِنٌ مُرَاحًا وَجِدًّا؛ إِنَّ شَتَّتَ صَحِكتَ مِنْ نَوَادِرِهِ، وَإِنْ شَتَّتَ عَجِبْتَ مِنْ غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ، وَإِنْ شَتَّتَ أَلْهَتَكَ طَرَائِفُهُ، وَإِنْ شَتَّتَ أَشَجَّتَكَ مَوَاعِظُهُ»^(١).

^(١) كتاب الحيوان؛ تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. ط ٢:

١٣٨٤هـ / ١٩٦٥ م. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ١ / ٣٨ فما بعدها.

والله المعين على أن تكون هذه القراءات نواةً لكُنْشَاة خفيفة الحمل، ثقيلة المضمون.

• تصدير:

قال المنصّر والجاسوس البريطاني اليهودي وليام جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave (ت ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م): «متى توارى القرآن ومدينة مَكَّة عن بلاد العرب يُمكنُنَّا عندئذٍ أن نرى العَرَبِيَّ يتدرَّج في سبيل الحضارة التي لا يُبَعِدُهُ عنها إلا مُحَمَّدٌ وكتابه»^(٢).
هذه قصة بدأت فصولها من قديم الزمان، وما زالت تلوكها الألسن إلى يومنا هذا.

[أ]

خَلَا لَكَ الْجَوُّ..

١. التنصير بين الدين والسياسة

بات من المُسَلِّمَاتِ التي لا تَقْبَلُ الجَدَلَ أن (التنصير) في حقيقته حركة سياسية استعمارية مصبغة بصبغة الدين، تلبس لبوسه وتتستر خلفه، ويرى الباحثون في تاريخ الحضارات أنها بدأت بالظهور إثر إخفاق

^(٢) انظر: الغارة على العالم الإسلامي؛ تأليف: أ. ل. شاتليه. لخصه ونقله إلى اللغة العربية: مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب. ط ٢: ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م. منشورات العصر الحديث - جدة/ السعودية.

الحروب الصليبية في تحقيق مرادها. وسياق التاريخ يدعم ذلك، فالحملات الصليبية أو حروب الفرنجة - كما كانت تُعرف عند المؤرخين المسلمين - امتدت نحو قرنين من الزمن، منذ نهاية القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السابع الهجري. ولا يخفى - أيضا - أن تلك الحروب اشتركت مع التنصير في صبغتها الدينية، فالذين خاضوها تواروا تحت رداء الدين وشعار الصليب من أجل تحقيق هدفهم الرئيس؛ المتمثل في السيطرة على البلاد الإسلامية، خاصة الأراضي المقدسة. أما حركة التنصير فينْسَبُ المُنْظَرُونَ لها (فَضَلَ) ريادتها إلى الإسباني ريموند لول؛ الذي قام بما يمكن أن يسمى أول خطوة تنصيرية سنة ٦٩١هـ / ١٢٩٢م.

٢. ريموند لول: رائد التنصير في العالم الإسلامي

ريموند لول (Raymond Lull): رائد التنصير في العالم الإسلامي، حسب كلام المنصّرين والمنظّرين لحركة التنصير. وُلد في جزيرة مايوكرا الإسبانية عام ٦٣٢هـ / ١٢٣٥هـ، وشُهر عنه فجوره في شبابه. ثم قرر أن يَهَبَ حياته للتنصير، فتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في جامعة (بالما) استعدادًا لمقارعة المسلمين، وكان سلاحه الأول التهجم على شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والبحث عن شبهات تحوم حوله، وكان من أوائل مَنْ طرح هذا الخيار بديلا عن الحروب الصليبية.

ابتدأ حركته سنة ٦٩١هـ / ١٢٩٢م وكانت أرض تونس هي محطته الأولى لمناظرة بعض المسلمين، لكنه سرعان ما أثار غضب أهلها فُضِرْب

ونفي، ثم أعاد الكرة في بجاية بالجزائر سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧هـ، ولقي المعارضة نفسها، فسُجن ثم نفي، لكنه أصر على هدفه، وعاد لممارسة نشاطه حتى وفاته مرجومًا بالحجارة في ربيع الأول ٧١٥هـ / ٢٩ يونيو ١٣١٥م، فيما ترى بعض الدراسات أن قصة الرجم مُحْتَلَقَةٌ لإظهاره بمظهر «البطل الشهيد». وعلى كل حال فإن ريموند لول يُعَدُّ صاحب أول خطوة تنصيرية، وهو الملمهم لكثير من المنصرين اللاحقين، وعلى رأسهم صموئيل زويمر؛ الذي أفرَدَ كتابًا في سيرة حياته، وسَمَّى ابنه الذكر الوحيد باسمه^(٣).

٣. تداعى الأكلة إلى قصعتها

توالى نشاطات المنصرين فيما بعد، ويُعَدُّ القرن التاسع عشر الميلادي (يوافق القرن الثالث عشر الهجري) العصر الذهبي لحمالات التنصير، ساعدهم على ذلك أناسٌ من جلدتهم كُلُّ يلبس لبوسه. فظهر المستشرقون، والمستكشفون الجغرافيون، والرحالة، وممثلو الشركات التجارية، وقبل ذلك كله كانت الجيوش الغربية الغازية قد اجتاحت أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي، وفرضت سيطرتها عليها، وعَيَّنَتْ حُكَّامًا ووكلاء وقناصل وممثلين لها في بقاع شتى، مستغلة ضعف الشعوب وتفككها وإغراقها في الجهل والعصبيات والنزاعات.

^(٣) صموئيل زويمر (١٨٦٧ - ١٩٥٢م) لقاء المسيحية بالإسلام؛ تأليف: حمد عبد الله. ط ١: ١٤٣٢هـ /

٤. الدكتور فاندر وكتابه ميزان الحق

يعد الدكتور الألماني كارل فاندر (Karl Pfander) من أشد المتعصبين للتنصير، المنافحين في سبيل تحقيق مقاصده. وكتب مؤلفات عدة في هذا المجال، من أشهرها كتاب (ميزان الحق) الذي اتكأ عليه أكثر المنصّرين من بعده. وقد انتصر فيه انتصارا كبيرا لعقيدة التثليث، وأكد مصداقية الكتاب المقدس وسلامته من التحريف! وعقد فصلين كاملين للقُدح في النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ورسالته.

ابتدأ فاندر عمله التنصيري في أوروبا الشرقية، إلا أن السلطات الروسية عارضت نشاطه، فتوجه إلى الهند ولقي فيها مرتعا خصبا لنشر أفكاره، مُحدِّثًا بلبلة كبيرة بين المسلمين هنالك. وتصدى له العالم الهندي رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرواني، فطلب المناظرة معه في باحة عامة ببلدة أكبر آباد عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م على المسائل المختلف فيها بين النصرانية والإسلام، وحضر المناظرة حشد من أهل البلدة، وكانت حجج العالم الهندي المسلم قاصمةً لظهر فاندر، فلم يكذ يفتح باب النقاش حول مسألة تحريف الإنجيل حتى أُلجم، فانسحب من المناظرة، وما هي إلا أيام حتى غادر الهند رأساً! وقاد رحمة الله فيما بعد سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م ثورةً ضد الإنجليز المحتلين لبلاده، غير أن الإنجليز أخمدوها بالقهر، ونصبوا المشانق لعلماء المسلمين وقادّتهم، فاضطر رحمة الله الهندي إلى الخروج إلى مكة المكرمة والإقامة بها.

أما فاندنر فتوجه إلى إستانبول، وشرع في إرساء دعائم مركز تنصيري في عقر دار الخلافة الإسلامية، وعاصمة الدولة العثمانية، وأخذ يدعي ويتفاخر أن الغلبة كانت له في مناظرته بالهند، وأنه صدَّ كثيرا من المسلمين عن دينهم، فوصلت دعاواه إلى مسامع السلطان عبد العزيز، وأصيب السلطان بِعَمٍّ شديد لذلك، فكتب رسالة عاجلة إلى شريف مكة عبد الله بن عون للاستفسار من الحجاج الهنود عن قصة المناظرة والثورة سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م وإعلام الباب العالي بحقيقة الأمر.

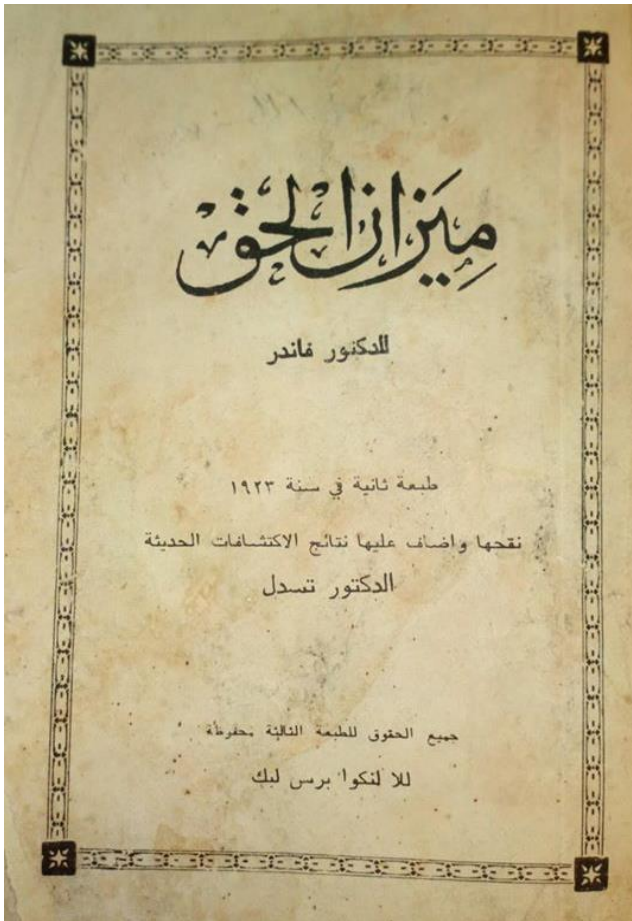
فأخبره الشريف بأن الشيخ رحمة الله موجود في مكة، فطلبه السلطان ضيفا خاصا عنده. وعند وصول رحمة الله إلى الآستانة في رجب سنة ١٢٨٠هـ/ ديسمبر ١٨٦٣م استقبله السلطان عبد العزيز خان في موكب رسمي، وأكرمه وأضافه. فحدّثه رحمة الله عن المناظرة والثورة ودور العلماء فيها والمذابح الوحشية على يد الإنجليز.

كان فاندنر قد قرَّ من تركيا عندما سمع بوصول الشيخ رحمة الله إلى الآستانة وإكرام السلطان له، ولما اطلع السلطان على الحقيقة أمر بالقبض على المنصرين ومصادرة كتبهم وإغلاق مراكزهم سدا لباب الفتنة، ثم طلب السلطان من الشيخ في هذه الزيارة تأليف كتاب في الرد على النصرانية، فألّف كتابه (إظهار الحق)^(٤). ومثّل ما كان كتاب (ميزان الحق)

(٤) انظر القصة بتفاصيلها في مقدمة كتاب: إظهار الحق؛ تأليف: رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي. ط ١:

متكاً لكثير من المنصرين؛ كان كتاب (إظهار الحق) مستنداً لكثير من دعاة المسلمين في محاجة النصارى، ومن أبرز المتأثرين به الداعية الكبير المشهور: أحمد ديدات.

مات فاندري في بريطانيا سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م^(٥). وتوفي الشيخ رحمة الله الهندي في مكة المكرمة سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م.



^(٥) صموئيل زويمر (١٨٦٧ - ١٩٥٢م) لقاء المسيحية بالإسلام. تأليف: حمد عبد الله. ص ١٩.

إظهار الحوق

تأليف

العلامة الفاضل الشيخ رحمة الله خيال الرحمن الهندي



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

[ب]

المسيح أو محمد.. بأيهما نثق!؟

١. صموئيل زويمر

صموئيل مارينوس زويمر (Samuel Marinus Zwemer) أحد رواد الحركة التنصيرية في العالم العربي، وصاحب نشاط تنصيري بارز - نظرياً وتطبيقاً - في مسيرة جاوزت الستين عاماً. ولد في ذي الحجة ١٢٨٣هـ / ١٢ إبريل ١٨٦٧م في مشيجان بالولايات المتحدة الأمريكية بعد هجرة أسرته إليها من هولندا. ونشأ في وسط متدين، فتلقى تعليماً لاهوتياً مكثفاً من صغره، وابتدأ بمخدمة التنصير محلياً في وقت مبكر من حياته.

وكانت جذوة الحماس على أشد ما تكون اشتعالاً في نفسه، فقرر الخروج في سبيل نشر النصرانية، وتعلم العربية وأتقنها، ووسع مداركه في تقنيات مهنة التمريض والإسعافات الأولية ليتخذها وسيلة ينفذ بها إلى قلوب العامة. ثم كون فريقاً من المنصرين المتحمسين للسفر معه. ويعد الأستاذ الدكتور جون جي لانسينج (John G. Lansing) الأب الروحي للإرسالية العربية، فمنه استوحى زويمر الفكرة، وهو الذي مهد الأرضية المناسبة لعملهم، ووضع الاستراتيجية الأولى لانطلاقتهم.

أعلن زويمر في صفر ١٣٠٧هـ / أكتوبر ١٨٨٩م تأسيس النواة الأولى للإرسالية العربية، وجمع تبرعات لها، ساندته فيها رفيق دربه: جيمس كانتاين (James Cantine)، وقد التقيا في معهد نيوبرونزويك في

نيوجرسي أثناء دراستهما علم اللاهوت. وقد تخرج زويمر فيه ونال شهادته بتفوق في رمضان ١٣٠٧هـ/ مايو ١٨٩٠م. وما لبث هذا الإعلان أن لقي قبولا من الكنيسة الإصلاحية في أمريكا، فتبنت رعاية الإرسالية العربية وإدارتها.

وصل زويمر إلى بيروت في أول محطة عربية يزورها في ذي الحجة ١٣٠٧هـ/ أغسطس ١٨٩٠م حيث التقى برفيقه كانتاين، ثم إلى القاهرة، وقام برحلة استكشافية للموانئ المطلة على البحر الأحمر سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م، والتقى خلالها بالأسقف توماس فالبي فرينتس (Bishop Thomas Valpy French) الذي كان في طريقه لمباشرة عمله مسؤولا عن المركز التنصيري بمسقط. ومكث زويمر بعض الوقت في اليمن متجولا في أهم مدنها وموانئها. وخرج منها في جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ/ أكتوبر ١٨٩١م قاصدا البصرة للاجتماع مع زملائه المبشرين، وفي الطريق توقفت البصرة في ميناء مسقط، فنزل زويمر فيها لزيارة ضريح الأسقف فرينتس التي توفي إثر ضربة شمس في شوال ١٣٠٨هـ/ ١٤ مايو ١٨٩١م، وكانت هذه أول مرة يطأ فيها أرضا عمانية.

وفي البصرة ارتأى زويمر مع رفيقه كانتاين وزملائهم تأسيس أول مركز للإرسالية العربية التنصيرية سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م، وأمدتهم الجمعيات التنصيرية بطبيب متخصص يدعى الدكتور كلارنس إي ريجز (Clarence E. Riggs) في العام نفسه، ثم استُبدل به طبيب آخر في

العام التالي^(٦). ومع افتتاح متجر بيع الكتب المقدسة في البصرة تكون الإرسالية العربية قد انتهت من مرحلة التأهيل والإعداد، وأرست دعائم عملها التنصيري استعدادا للولوج إلى أعماق شبه الجزيرة العربية.

وبعد جولات استكشافية أخرى قام بها زويمر قرر هو ورفاقه في الإرسالية العربية أن يكون مركزهم الثاني في شبه الجزيرة العربية في البحرين، وتولى صموئيل زويمر نفسه مهمة إنشائه بافتتاح متجر بيع الكتاب المقدس في رجب ١٣١٠هـ/ فبراير ١٨٩٣م، فيما عينت الإرسالية شقيقه الأصغر بيتر زويمر^(٧) في مسقط في شهر جمادى الآخرة ١٣١١هـ/

^(٦) من الوقائع المستحقة للذكر هنا أن سرور زويمر وكاتتاين بتعيين الدكتور ريجز لم يدم طويلا، فقد صعقا لما اكتشفا أن الدكتور ريجز لا يؤمن بألوهية المسيح عليه السلام، وأنه - حسب تعبيرهم - من المتأثرين بأفكار المسيحيين الموحدين (Christian Unitarians) وذلك بعد حوار جرى بينهم في صيف عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م، وخشي المنصران من أن يؤدي به ذلك إلى إشهار إسلامه، فتكون فضيحة كبرى لهما وللإرسالية، إذ إن الموحدين عادة ما يكونون قاب قوسين أو أدنى من دخول الإسلام، فأرسلا خطابا عاجلا إلى أمناء الإرسالية العربية، ورفضوا العمل مع ريجز، لكنه أصرَّ على بقائه في عمله دون أن يتدخل في شؤونها أو يظهر للناس معتقداته، وتحقق لهما ما أرادا ففي المحرم ١٣١٠هـ/ ١٤ أغسطس ١٨٩٢م أعفت لجنة الإرسالية ريجز من منصبه، واستبدلت به طيبا آخر.

انظر: صموئيل زويمر (١٨٦٧ - ١٩٥٢م) لقاء المسيحية بالإسلام. ص ٨٩ - ٩٠.

^(٧) بيتر جون زويمر الشقيق الأصغر لصموئيل زويمر، ولد في مشيجان في جمادى الأولى ١٢٨٥هـ/ ٢ سبتمبر ١٨٦٨م بالولايات المتحدة الأمريكية بعد هجرة أسرته إليها من هولندا. اختار العمل في حقل التنصير في البلاد العربية، فتوجه إلى البصرة تحت مظلة الإرسالية العربية، ورشحته الإرسالية ليتولى مهام التنصير في عمان، وصدر قرار تعيينه مشرفا على إدارة شؤون عمل الإرسالية بمسقط في شهر

ديسمبر ١٨٩٣م على أمل تأسيس مركز ثالث دائم فيها. ولم يكن صموئيل زويمر في البحرين غافلا عن بقية المناطق، فقد كان موجها رئيسا لأعضاء الإرسالية، واستأجر موقعا متميزا لمتجره في البحرين وسط السوق وقرب الميناء، ليستقطب أكبر عدد من التجار القادمين من نجد ولنجة ومسقط وغيرها من الأقاليم المجاورة.

وفي ذي الحجة ١٣١٣هـ/ مايو ١٨٩٦م اقترن زويمر بإيمي إليزابيث ويلكس (Amy Elizabeth Wilkes) وهي منصرة أسترالية من مواليد ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٥م قدمت إلى شبه الجزيرة العربية للعمل في حقل التمريض ضمن فريق الإرسالية، فاشتركا في أعمالهما اللاحقة. وقدا مسقط في أول زيارة مشتركة لهما في ربيع الأول ١٣١٤هـ/ الفترة من ١٦ إلى ٢٧ أغسطس ١٨٩٦م. ووافقت زيارتهما بدء العمل في مطبعة الإرسالية

جمادى الآخرة ١٣١١هـ/ ديسمبر ١٨٩٣م، فتحسس أشد الحماس لذلك، ونجح في تأسيس مطبعة الإرسالية بمسقط، وأشرف على مطبوعاتها. لكنه عانى طوال فترة إقامته فيها من الحمى وآلام المفاصل، فأبى أن يغادر عمان حتى أجبر على فعل ذلك عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م بعد أن أنهكه المرض وسقط طريح الفراش، فحمل على الأكتاف إلى متن سفينة أقلته من ميناء مسقط في رحلة العودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وظل يعاني من مرضه حتى توفي مساء الثلاثاء ٢ جمادى الآخرة ١٣١٦هـ/ ١٨ أكتوبر ١٨٩٨م. انظر: الحملات التنصيرية إلى عمان، والعلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام؛ تأليف: سليمان بن سالم بن ناصر الحسيني. ط٢: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية- جامعة نزوى/ سلطنة عُمان. ص ٦٠ فما بعدها. و: صموئيل زويمر (١٨٦٧- ١٩٥٢م) لقاء المسيحية بالإسلام. ص ٤٣، ١٢٧.

بمسقط التي تأسست في جمادى الأولى ١٣١٣هـ/ نوفمبر ١٨٩٥م، فحملا
معهما إلى البحرين أعدادا من مطبوعاتها التنصيرية.

وفي فصل الربيع من عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م عزم زويمر على زيارة
إمارات ساحل عمان^(٨)، برفقة بائع للكتب الدينية من أصل عربي يسمى
إلياس، فانطلقا في ١١ محرم/ ١١ مايو إلى الشارقة، وأضافهما عبد اللطيف
المعتمد البريطاني هنالك، وقضيا فيها أياما في تطيب الناس وتمريضهم
وبيع الكتب، كما زارا دبي لبعض الوقت، ثم ارتحلا برا ركوبا على الجمال
من الشارقة إلى صحار، مروراً بوادي حتا، وشناص، ولوى، ونزلا في صحار
في ضيافة واليها الذي كان تابعا آنذاك للسلطان فيصل بن تركي.

ثم استقلا قاربا من صحار إلى مسقط، ليلحقا بالباخرة البريطانية
الهندية المتوجهة إلى البحرين، وقابل زويمر في مسقط - على عجل -
صديقه كانتاين الذي قدم إليها لسد الفراغ الناتج عن وفاة القائمين على
الإرسالية فيها. وقد وجد زويمر في قرى عمان تربة خصبة للتنصير، متكئا
على تسامح أهلها الذين قابلهم في رحلته.

^(٨) كانت الإرسالية قد كلفت قبل ذلك في رمضان ١٣١١هـ/ مارس ١٨٩٤م المدعو (نايف خيامي) -
وهو بائع كتب دينية من أصل عربي - لزيارة الشارقة وإعداد تقرير عنها. ص ٣٢٤. وفي نهاية السنة
نفسها حاول زويمر زيارة الشارقة من البحرين عن طريق البحر، لكن الأحوال الجوية حالت دون
تحقيق مراده. انظر: صموئيل زويمر (١٨٦٧-١٩٥٢م) لقاء المسيحية بالإسلام. تأليف: حمد عبد الله.

وبعد سنة كاملة قدم زويمر في رحلة استكشافية أخرى إلى المنطقة نفسها في المحرم ١٣١٩هـ/ مايو ١٩٠١م، فزار أبوظبي والتقى بجاكها زايد بن خليفة (الأول)، ثم دخل البريمي وتجول فيها، وخرج منها إلى صحار، ثم إلى مسقط عبر البحر. وفي هذه المرحلة قرر زويمر مع رفيقه كانتين إنشاء مركز ثالث للإرسالية بمسقط، وتمكنا من الحصول على موافقة الإرسالية ببناء مقر دائم له انتهى العمل فيه سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م وأعلن فيها تأسيس مركز مسقط. ثم تبعه بعد زمن قليل مركز عدن. واحتفلت الإرسالية سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م بمرور عشرين عاما على انطلاقتها.

ظل نشاط مركز الإرسالية في البحرين بإشراف زويمر وزوجته بين إقبال وإدبار، وكانت تُكْتَبُ لهم إنجازات يعدونها نجاحات لكنها لا تلبث أن تخفق وتراجع، وظل زويمر يتردد مرارا على الولايات المتحدة الأمريكية لدعم الإرسالية وجمع التبرعات لها، وكسب مؤازرة المتحمسين للتنصير في شبه الجزيرة العربية.

وكان مناخ الجزيرة العربية من أكبر العوائق دون نجاح عملية التنصير، فقد تساقط المنصرون واحدا تلو الآخر بسبب الحرارة الشديدة وتفشي الأمراض والأوبئة، ولقيت بنتان من بنات زويمر المصير نفسه سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م. ودُفِنَتَا في المنامة بالبحرين. لذا قرر زويمر هو وزوجته أن يبقيا بعض أولادهما في ديارهما بأمريكا عند قضائهما إجازتهما سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

انطلق زويمر من ميناء نيويورك في رحلة طويلة إلى مومباي، ومنها إلى ميناء مسقط التي وصلها في ٢٠ شوال ١٣٢٨هـ / ٢٤ أكتوبر ١٩١٠م، وهناك قرر المكوث بعض الوقت لإعادة استكشاف البلاد بعد طول غياب، والتقى برفيقه كانتاين وزوجته والدكتور بينيت، وقرر الجميع في ٢٢ شوال/ ٢٦ أكتوبر تنفيذ رحلة داخل أعماق عمان لاستكشاف المنطقة، لكنها لم تتوغل إلى أبعد من بوشر التي تبعد عن مسقط حوالي ٢٠ كم، وكانوا أثناء الرحلة يمارسون نشاطهم التنصيري من بيع الكتب والتمريض.

سعى زويمر إلى وضع خطط محكمة لتنصير المسلمين، ورأى أن ذلك لا يتم دون تبادل الأفكار والرؤى، فخطط لعقد مؤتمرات عالمية للتنصير، نجح في إقامة أولها في القاهرة الخاضعة للحماية البريطانية في صفر ١٣٢٤هـ/ إبريل ١٩٠٦م حضره ٦٢ منصرفاً. ثم عقد المؤتمر الثاني برئاسته أيضاً في مدينة لكهنؤ الهندية أواخر شهر المحرم ١٣٢٩هـ/ يناير ١٩١١م، وحضره هذه المرة قرابة ١٦٦ ممثلاً عن الجمعيات التنصيرية.

وكان من أهم ما انبثقت عنه توصيات هذه المؤتمر: تأسيس الجمعية الأمريكية المسيحية لمطبوعات المسلمين. ورُشح زويمر للإشراف المباشر عليها، فانتقل بدءاً من سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م إلى القاهرة التي كانت منطلق عمل هذه الجمعية.

في هذه الفترة ازداد نشاط زويمر في التأليف، فأصدر كتباً تنصيرية عديدة، وكتب مقالات كثيرة في هذا الجانب، واهتم في هذه المرحلة

بالانخراط في العمل السياسي بالتعاون مع الجيش البريطاني في مصر لجمع معلومات استخباراتية عن العالم العربي، والتواطؤ مع توماس إدوارد لورانس (Thomas Edward Lawrence) الذي يعد أخطر رجل مخبرات بريطاني شهده العالم أيام الحرب العالمية الأولى^(٩).

وفي شوال ١٣٤١هـ/ يونيو ١٩٢٣ قام زويمر برحلة تفقدية إلى العراق والبحرين للاطلاع على سير عمل الإرسالية العربية فيها، ثم خرج منها إلى الهند واستقل باخرة التقى على متنها بسطان مسقط تيمور بن فيصل بن تركي، وأهداه بعضا من المطبوعات التنصيرية باللغة العربية.

ومع تقدم سن زويمر وبلوغه الستين عام ١٩٢٧م (=١٣٤٥هـ) ارتأى اعتزال العمل الميداني للتنصير، والاستقرار في الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠ والتفرغ للتأليف وإلقاء دروس ومحاضرات على طلاب الدراسات اللاهوتية، لإيصال خبرته للأجيال الجديدة. وظل كذلك حتى وفاته يوم الأربعاء ٧ رجب ١٣٧١هـ/ ٢ إبريل ١٩٥٢م وهو في الخامسة والثمانين من عمره.

^(٩) آزر زويمر في هذه الفترة جنود الاحتلال البريطاني في مصر، فتطوع للعمل مستشارا روحيا للعساكر! وفي إحدى المناسبات ذهب إلى معسكر الجيش البريطاني لتقديم مراسم الصلاة في صالة معدة لما يزيد على ٣٠٠ عسكري، ولكنه فوجئ بحضور ٨ عساكر فقط، فغضب لهذا الحضور الهزيل، وهرب إلى باحة المعسكر وأذن أذان المسلمين! فصعق الجيش لسماعهم صوت الأذان في وسط المخيم العسكري، وتوافدوا إلى مصدر الصوت فوجدوا زويمر واقفا ينتظرهم، وعاتبهم على عدم تلييتهم داعي الصلاة إلا بهذه الطريقة!. انظر: صموئيل زويمر (١٨٦٧-١٩٥٢م) لقاء المسيحية بالإسلام. ص ٢٠٣.

والغريب أن دورية الإرسالية العربية لم تذكر نبأ وفاته إلا في أسطر معدودة على هامش إحدى صفحاتها، بعد أن كان زويمر يخصص أعدادا كاملة منها لتأبين رفقاءه!!

وبوفاة زويمر تقلصت أنشطة الإرسالية العربية تدريجياً، وهو دليل على أن العمل التنصيري كان مقرونا بشكل كبير بشخص زويمر، فقد كانت له طموحات عظيمة في بداية مشوراه، وكان يخطط لتنصير الجزيرة العربية في جيل! ويطمع بإنشاء جامعة نصرانية في البحرين تضاهي جامع الأزهر بمصر!

٢. المطابع في خدمة التنصير

يذهب بعض الباحثين إلى القول «إن فنَّ الطباعة لم يكن اكتشافاً أوروبياً قط، فقد سبقهم إليه الصينيون» الذين اكتشفوا صناعة الكاغد في بداية القرن الثاني للميلاد، ثم انتقلت هذه الصنعة إلى المسلمين، فطوروها إلى استعمال القوالب الخشبية، ومهروا في نقشها وزخرفتها وإتقان انعكاساتها حتى بلغوا درجةً يُمكن عَدُّها محاولاتٍ طباعيةً أولى، ومع ذلك فإن التحوّل الأكبر في تطور هذه الصناعة كان باختراع المطبعة سنة ١٤٥٠هـ / ١٤٥٠م على يد الألمانِيّ يوهانس جوتنبرج (Hofzum Gutenberg).

على الرغم من هذا جاءت استفادة العالم الإسلامي من هذه التقنية الحديثة متأخرةً، يُعيد البعض أسبابها إلى الجانب الديني (التمثل في رفض

طباعة القرآن بوسائل ميكانيكية إفرنجية)، ويُعيدها آخرون إلى جوانب ذوقية فنية حسية تتعلق بجمالية الخط العربي ولغته.

وأيًا كان السبب فإن الملاحظ أن الطباعة خَدَمَتْ في بداية اكتشافها جوانب دينية محضة، فقد أصدر جوتنبرج بحروف مطبعته كتابًا عنوانه (تحذير النصرانية من الأتراك) - يعني المسلمين - بعد أقل من سنة من سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٤م^(١٠)، وتصدّرت الكُتُب المقدّسة فيما بعد قائمة المطبوعات في أوروبا. ورأينا سابقا وسنرى لاحقا كيف وظف المنصرون المطابع في خدمة أغراضهم بعمان.

٣. مَطْبَعَةُ الإِرْسَالِيَّةِ الأَمِيرْكَانِيَّةِ بِمَسْقَط

تُعَدُّ الكلمة المكتوبة واحدةً من الوسائل التنصيرية المهمة، لأنها تُسَهِّلُ عملية انتقال الأفكار، وتُسرِّع وتيرة التأثير في الناس، لذلك سعت الإرساليات إلى تسخيرها لصالح أعمالها التنصيرية، سواء كان ذلك عن طريق افتتاح المكتبات أو توزيع المنشورات بواسطة الباعة المتجولين.

وتشير الدراسات إلى بداية عمل الإرسالية الأمريكية بمسقط في حدود سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٣م، وفي السنة نفسها عينت الإرسالية العربية القسّ بيتر زويمر (Peter Zwemer) وهو الشقيق الأصغر لصموئيل زويمر، مشرفا على أعمال التنصير بمسقط، فقدم إليها في جمادى الأولى /

^(١٠) أوائل المطبوعات العربية في تركيا وبلاد الشام؛ بقلم: وحيد قدورة ص ١١١. والكتب العربية

المطبوعة في أوروبا ص ١٩. والطباعة العربية في أوروبا: ص ٤٩، و ٥٢.

كانون الأول (ديسمبر)، وأشار في تقريره إلى ارتياحه مما شاهده فيها، من إقبال الناس على باعة الكتب المقدّسة، واقتنائهم نُسخًا منها، وكانت جُلُّ تلك المطبوعات تصل إلى مسقط من بيروت؛ حيث كانت تُطبع بالمطبعة الأمريكية.

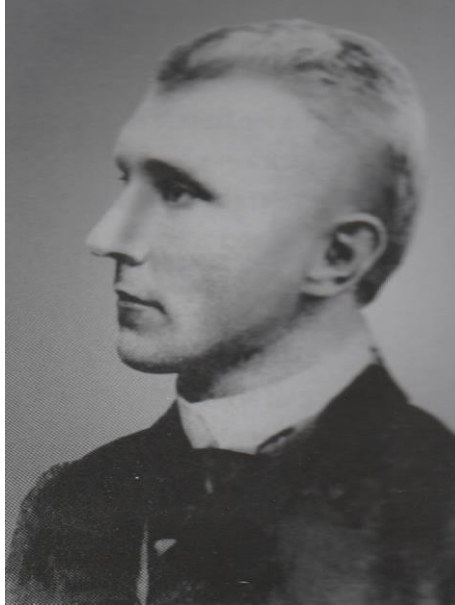
ولما رأت الإرساليّة أن هذه المنشورات لا تلبي حاجاتها فكّرت بجديّة في إقامة مطبعتها الخاصة بمسقط، وتحقّق لها ذلك بعد سنتين في جمادى الأولى ١٣١٣هـ/ نوفمبر ١٨٩٥م، وكانت مطبعة صغيرة محدودة العمل، بطيئة الإنتاج، خُصّصت لطباعة النشرات والمقالات والكتيبات والبطاقات التنصيرية. واستُوْجِرَ لها مبنى مستقل في مسقط.

ولا نعلم تفاصيل أوفى عن إدارتها ونشاطها، غير أن المؤكد أنها لم تدم طويلاً، فقد سارعت سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م بنشر كُتيبٍ من تأليف القسيس روز (Rev. Rouse) يحمل عنوان «المسيح أو مُحَمَّد؛ بأيهما نثق؟» (Jesus or Mohammad; on whom will you rely?)، وهو ترجمةٌ من القسيس نفسه لنشرته الإنجليزية الصادرة سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م عن جمعية الأدب المسيحي (Christian Literature Society) في مدرّاس بالهند^(١١).

^(١١) عنوان الكتاب الأصلي المترجم إلى العربية هو: «الاتكال على المسيح أم على محمد؟». والكتاب مليء بركاكة الأسلوب وضعف الترجمة وغموض العبارات. وهو أنموذج جيد يصرّو أثر حاجز الترجمة عند المنصرين في توصيل رسالتهم. والعجيب أن مؤلفه يستشهد بآيات من القرآن لاستنقاص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ الذي يدعي أنه اختلق القرآن من عنده!!

ويبدو أن لهجته المناوئة للإسلام والمتهجمة على الرسول صلى الله عليه وسلم أثارت حنق المسلمين، مما عجل بالقضاء على المطبعة وإيقاف عملها في السنة نفسها.

فقد أشار زويمر أيضًا في تقرير كتبه في رجب ١٣١٥هـ/ ديسمبر ١٨٩٧م إلى أنهم طبعوا ٦٠٠ نسخة من الكتاب، ووُزعت بعناية على مَنْ يَصِفُهُم «بأكثر العقول حُرِّيَّةً»، إلا أن المعارضة الشديدة التي لقيها الكتاب دَفَعَتْ بالسلطان فيصل بن تركي إلى أن يطلب من القنصل الأمريكي مَنَعَ توزيعه ومصادرة النسخ المتبقية منه وحرقها. وعندها ارتأت الإرسالية بِيَعَ مطبعتها، واستبدلت بها مطبعة أصغر تفي باحتياجاتها الإدارية^(١٢).



بيتر وزيمر

^(١٢) انظر: صموئيل زويمر (١٨٦٧-١٩٥٢م) لقاء المسيحية بالإسلام. ص ١٢٤، ٣٤٩.

١٣
الاتكال
 على المسيح ام على محمد

تأليف الفاضل قس روز
 قد ترجمة من الانكليزية

Tracts for Muhammadans, First Series, No. 2.

JESUS OR MUHAMMAD:
ON WHOM WILL YOU RELY?

BY

THE REV. G. H. ROUSE, M.A., D.D.

FIRST EDITION, 3,000 COPIES.

THE CHRISTIAN LITERATURE SOCIETY FOR INDIA:

LONDON AND MADRAS.

1896.

Price One Pie.

*

[ج]

إلا رسول الله

١. محمد صلى الله عليه وسلم في الكتابات الهندية^(١٣):

قطع علماء الهند شوطا كبيرا في مصنفات السيرة النبوية منذ القرون الأولى حتى زمان متأخر، ثم كادت مصنفاتهم في العصر الأخير أن تفوق مصنفات غيرهم من شعوب العالم.

ومن أبكر المصنفات الهندية المعاصرة: رد سيد أحمد خان على كتاب المستشرق الأسكتلندي السير وليم ميور Sir William Muir (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) المسمى «حياة محمد» الصادر في لندن ١٢٧٤-١٢٧٧هـ / ١٨٥٨-١٨٦١م، وقد بذلت بريطانيا أموالا طائلة في نشر كتاب ميور، وتولت الحكومة الإنجليزية في الهند توزيعه على نطاق واسع.

ومن العجيب المدهش أن سيد أحمد خان سافر إلى لندن ليعيش جو الغرب ويفهم أسلوبهم ويقرأ مصادرهم التي يبثون منها أفكارهم للمسلمين، فألف رده على ميور هناك، ولم يكن له سند معين، وضافت به الحال في الغربية فباع جل ممتلكاته، وطبع كتابه سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م، وكتب عليه: يكفيني وسام فخري أن يُنادى عليّ يوم القيامة: أين ذلك الفقير الذي باع كل ما يملك فداءً لنبيّه.

^(١٣) وَصَفُ الهندية هنا يشمل إقليم شبه القارة الهندية بأكملها، ويضم: بنجلاديش، وبوتان، والهند، ونيبال، وباكستان، وسريلانكا، وجزر المالديف.

ومن أشهر المصنفات الهندية في السيرة النبوية: كتاب العلامة المؤرخ شبلي النعماني (ت ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م)، الذي قال في تصديره: «إلى يوم الدين لن يستطيع أحدٌ منافسة المسلمين في حفظ أدق تفاصيل حياة رسولهم صلى الله عليه وسلم، بطريقة لا يصل إلى مستواها تسجيل حياة أي إنسان من قبله، ولن يصل من بعده، وفي سبيل ذلك رصدوا تفاصيل حياة نحو ثلاثة عشر ألف صحابي ممن كانوا يحيطون به، كل ذلك في وقت فجر التأليف! ولنرجع إلى كتب السير والطبقات لنرى فيها هذه الصورة الفريدة في التراث الإنساني... إنه جهد لا نظير له في تاريخ الإنسانية من أجل حياة فرد واحد».

ثم توالى كتب السيرة الهندية، حتى كان من أصفها وأحلاها: كتب العلامة أبي الحسن الندوي التي لا يكاد يخلو واحدٌ منها من حديثٍ عن السيرة النبوية، ويمتاز قلمه بعذوبة ورقة قلما تجد لها نظيراً بين كتابات المعاصرين، وتفيض مؤلفاته عاطفة وحيوية وحماساً.

ولا ننسى «الرحيق المختوم» للشيخ صفي الرحمن المباركفوري؛ الذي شاع وذاع وتُرجم إلى عدة لغات، ونال الجائزة الأولى في مسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

ومن روائع إبداعات الهند في السيرة النبوية: مصنفات الشيخ محمد حميد الله (ت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، وهو رجل جمع بين الثقافة الهندية والغربية والعربية، وأفرز عصارته في كتب عدة، لعل أشهرها: كتاب «مجموعة

الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»، وهو فكرة لم يسبق لها، نال به شهادة الدكتوراه من السوربون عام ١٩٣٤م^(١٤).

٢. الوحدة المحمدية والوحدة الناصرية!

لا تفوتنا الإشارة هنا إلى مقالة صدّر بها أحمد حسن الزيات مجلة الأزهر في عددها الأول من سنتها الخامسة والثلاثين؛ الصادر في المحرم ١٣٨٣هـ/ يونية ١٩٦٣م، وهي مجلة شهرية تصدر عن مشيخة الأزهر بالقاهرة، ويديرها الزيات، ويشاركه في تحريرها: عباس محمود العقاد.

تجرأ الزيات تحت عنوان: «أمة التوحيد تتوحد»، إلى عقد مقارنة بين حركة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ١٤ قرناً، وبين حركة جمال عبد الناصر في زمانه، وخلص إلى القول: «إنَّ الوحدة المحمدية كانت كُليَّةً عامَّةً؛ لأنها قامت على العقيدة، ولكنَّ العقيدة مهما تدمَّ قد تَضَعُفُ أو تتحوَّل. وإنَّ الوحدة الصلاحية كانت جُزئيةً خاصةً؛ لأنها قامت على السلطان، والسلطان يَعْتَرِيهِ الوَهْنُ فيزول. أمَّا الوحدة الناصرية، فباقيةٌ ناميةٌ؛ لأنها تقومُ على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم، وهذه المقوِّمات الثلاثة ضَمَانٌ دائمٌ للوحدةِ ألاَّ تَسْتَأْثِرَ فَتُسْتَغْلَى، وألَّا تَسْتَبَدَّ فَتَطْغَى، وألَّا تَحْكَمَ فَتَحْكَمَ. والأثَرَةُ والطماعية، والطغيانُ والحسدُ كانت - وما زالت - عِلَّةَ العِللِ في فساد الزمان وهلاك الأمم».

^(١٤) انظر للمزيد: الكتابات العربية في السيرة النبوية في الهند؛ بقلم: نسيم أحمد. ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م. و:

دراسات في السيرة النبوية في شبه القارة الهندية؛ تأليف: إبراهيم عبد الرحيم. ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

فانبرى للتعليق عليه: الأستاذ عتيق الرحمن السنهلي النعماني^(١٥)؛ منشئ مجلة (الفرقان) الشهرية التي كانت تصدر في لكهنؤ في الهند بالأردية، فكتب كلمةً عَرَّبَهَا العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه (الطريق إلى المدينة)، ووصفها بأنها كلمة «دافقة بالحياة والقوة، وهي تُعرب عن وجهة نظر مسلمي الهند والبلاد العجمية، ومدى ارتباطهم بالمقام النبوي الشريف». ثم قال: «ورأيتُ من حق هذه الكلمة المؤمنة أن أتولى نقلها وتعريبها ليطلع عليها إخواننا العرب».

افتتح الأستاذ عتيق الرحمن بعرض نماذج من أدب شعراء العجم أمام مقام النبوة، وقال: «قارنْ ذلك بما صدر حديثاً عن قلم كاتب عربي كبير، في بلد إسلامي كبير، كان يعتبر كنانة الإسلام، وقبله الإسلام، في مجلة تصدرها كبرى الجامعات الإسلامية وأقدمها وأشهرها في العالم الإسلامي؛ الأزهر الشريف!!».

ثم اقتبس كلام الزيات السابق، وتعقبه بقوله: «هل يبلغ رجل يلفظ بكلمة الإسلام، ويؤمن برسالة محمد عليه السلام، في نزوة من نزوات الشباب، وفي عثرة من عثرات اللسان؛ إلى هذا الحد من الوقاحة وقلة الحياء والاعتداء على مقام الأنبياء؟

^(١٥) الأستاذ عتيق الرحمن ابن الشيخ محمد منظور السنهلي النعماني؛ غادر دنيانا يوم الأحد ٢٠ جمادى

لقد عُرف عن الماجنين المستهترين السكارى في بلادنا أنهم في سكرتهم وثورتهم لا ينسون التأدب مع مقام الرسالة، فإذا تناوله أحد الأشقياء بإساءة أو إهانة قامت قيامتهم وثارَت ثائرتهم». ثم حكى القصة التالية.

٣. ماذا تريد أن تسمع من فاسق؟

قال الأستاذ عتيق الرحمن: «وإلى القارئ الكريم قصةً رواها صحافي معروف عن شاعر كبير في شبه القارة الهندية، كان في طليعة شعراء الهوى والشباب، ومن المدمنين للخمر والشراب، وهو الشاعر (أختر الشيراني) الذي توفي قبل سنوات^(١٦). يقول الأستاذ شورش الكشميري في صحيفته السيّارة (Chatan جتان) الصادرة في لاهور باكستان:

اجتمع فريق من الشباب والشعراء في فندق (العرب) في لاهور مرةً، وكان في الجماعة شباب شيوعيون في غاية من الذكاء وسلطة اللسان. وتجادبوا مع الأستاذ (أختر الشيراني) أطراف الحديث، وصاروا يتناقشون معه في موضوعات شتى، وكان الأستاذ الشيراني قد شرب كأسين من الخمر،

^(١٦) أختر شيراني (واسمه الأصلي: محمد داود خان): من شعراء الأردية في العصر الحديث، ولد في صفر ١٣٢٣هـ / ٤ مايو ١٩٠٥م، وعُرف بحياته المترفة، فلم يكمل دراسةً، ولم يثبت في عمل! وأدى إفراطه في الشراب إلى موته المبكر عن سن صغيرة نسبياً وهو في الثالثة والأربعين من العمر، في لاهور يوم ٥ ذي القعدة ١٣٦٧هـ / ٩ سبتمبر ١٩٤٨م.

وقد فقد رشده، ومَلَكَتُهُ نشوةُ الخمر، وأخذته رعشة في الجسم، وكان يتكلم كلامًا متقطعًا غير متزن.

وكان معروفًا بالإعجاب الشديد بنفسه والتهيه بها، وكان لا يعترف بغيره من الشعراء، ولست أذكر اليوم جيدًا الموضوع الذي كان يدور البحث فيه، ولكن أذكر أنه قال: قد ظهر في المسلمين ثلاثة نوابغ عبقرين، أولهم: أبو الفضل. والثاني: أسد الله خان غالب. والثالث: أبو الكلام آزاد. أما الشعراء المعاصرون فكان لا يعترف لأحد منهم بالمساواة أو المجازاة، وقد سأله الشباب الشيوعيون عن الشاعر الكبير (فيض أحمد فيض) فأعرض عن الجواب، وسألوه عن (شبير حسن جوش) الشاعر المعروف، فقال: ليس بشاعر، إنما هو ناظم.

وهكذا كان موقفه من جميع الشعراء المعاصرين، استخفاف، أو إعراض، أو تبسم، أو تنكيت، ولما رأى الشباب أنه لا يعترف بقيمة حركة الأدب التقدمي؛ لجأوا إلى موضوع آخر لعله يثيره، أو يحرك منه ساكنًا، فقالوا: يا سيدي! ماذا تقول عن النبي الفلاني؟ وكانت عيناه محمرتين، وأخذت الخمر فيه كلَّ مأخذ، وكان لا يملك لسانه، ولكنه أفاق وقال: ما هذا الهراء؟ لا تتحدثوا إلا عن الأدب وعن الإنشاء والشعر والشعراء.

فعطف عنان الكلام إلى أفلاطون، وقال: ما رأيك عن مكلماته؟ وسألوه عن أرسطو، وسقراط، وكان نشيطًا للكلام فقال: أمَّةٌ قد خلت،

حَدَّثونا عن شخصياتنا، وحاضرنا، إن أولئك الفلاسفة لو كانوا في عصرنا لتلمذوا علينا، مالنا ولأولئك حتى ندلي برأينا فيهم؟

وانتهز شاب شاطرٌ من هؤلاء الشباب الشيوعيين فرصة نشاطه ومرحه، فقال: وما رأيك عن سيدنا محمد؟ وكأنما نزلت صاعقة، وهبت عاصفة، فلم يكد الشاب يتم جملة حتى تناول الشاعر السكران كأس الزجاج وضربها على رأسه قائلاً: يا قليل الأدب! أنت توجه هذا السؤال الوقح إلى رجل مذنب معترف بشقائه، ماذا تريد أن تسمع من فاسق؟

وكان جسمه يرتعد، وانفجر باكياً، وأجهش بالبكاء، وأقبل على الشاب الوقح يقول له في عنف وغضب: كيف سَوَّلت لك نفسك يا خبيث أن تذكر هذا الاسم النزيه المقدس؟ كيف تجاسرت على ذلك يا قليل الأدب؟! يا قليل الحياء! لقد كان لكلامك مجال واسع، فلماذا دخلت في هذا الحِمَى المقدس؟ تُبِّ إلى الله من هذا السؤال الوقح، إنني أعرف خبث باطنكم جيداً. وعُرف الشرُّ في وجهه وكأنه يريد أن يفتك بالشاب، ويسطوبه.

أما الشاب فقد سُقط في يديه، وغاب رشده، ولم يكن يقدر أنه سيلقى هذه النتيجة الوخيمة، وأنه يوقظ في الشاعر هذا الليث الثائر، ويثير فيه هذه الشرارة الكامنة، شرارة الإيمان والحنان، وشرارة الحمية والغيرة، فكان لا يعرفه إلا شاعر الهوى والشباب، وشاعر الغزل والغرام، وحاول أن يشغله عن هذا الحديث المثير، وأن يهدئ فيه هذه الثائرة، ولكنه لم ينجح.

ولم تهدأ ثائرة (أختر)، فأمر بإخراجه من المجلس، ثم قام بنفسه وبات طول الليل باكياً يقول: لقد بلغ هؤلاء الشباب الملحدون هذا الحد من الوقاحة والجراءة، إنهم يريدون أن ينتزعوا منّا آخر ما نعز به ونعيش عليه من حب وولاء وإخلاص ووفاء. إني رجل مذنب لا شك أعترف بذنبي، ولكن هؤلاء يحاولون أن نخلع ربقة الإسلام، ونخرج من حظيرة الإيمان، لا والله لا نرضى بذلك!».«

ويعلق الأستاذ عتيق الرحمن على القصة بقوله: «ولكن - وأسفاه! واويلاه! - ما أبعد المسافة بين هذا الوفاء العجمي وبين هذه الحمية الهندية، وبين هذه الغيرة الإيمانية الثائرة المضطربة التي يمثلها شاعر لم يكن قط من أبناء العرب، ولم يتكلم مرةً بلغة العرب، لقد نشأ بعيداً عن كل ذلك، بعيداً عن البيئة الدينية والعلمية والأزهر الشريف، عاش في مجالس الشرب، ونوادي اللهو، وأوساط الشعر والأدب، وعرف بالاستهتار وخلع العذار، والشعر الخليع كشعر عمر بن أبي ربيعة وأبي نواس وبشار بن برد.

ما أبعد المسافة بينه وبين أديب كبير، رضع بلبان اللغة العربية وآدابها الإسلامية، واشتهر بمقالاته في السيرة النبوية، والموضوعات الإسلامية، يرأس تحرير مجلة هي لسان حال الأزهر الشريف، مثابة العلم والعلماء ومقل الدين الحنيف.

كيف يقرن الاسم الذي هو من أكرم الأسماء وأعزها عند المسلمين باسم حاكم مصر الحالي، ويقارن بينهما؟ ثم تبلغ به الوقاحة إلى أن يعلن رجحان ناصر في هذا الميزان! وأن الوحدة التي يتزعمها وحدة باقية نامية، أما الوحدة التي دعا إليها محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمعرضة للضعف والتحول! يا ليت له لم تلده أمه! ويا ليتنا لم نعش لنسمع ذلك!!^(١٧).

٤. القادم من الصحراء إلى البشرية!

أختم هذه النماذج الهندية بأنموذج قلَّ أن يُلتفت إليه، وهو كتاب: «محمد نبي الصحراء» (The Prophet of The Desert) الذي ترجمه: محمد أمين عبد الله إلى العربية بعنوان: «محمد نبي الإنسانية».

مؤلف هذا الكتاب: كانايا لال جابا (Kanhaiya Lal Gauba)؛ يُعرف اختصاراً: (K. L. Gauba) ويُكتب بالأردية (كے ایل گابا) وعُرف بعد إسلامه باسم: خالد لطيف جابا (Khalid Latif Gauba) محامٍ وسياسي وكاتب بارز.

ولد في لاهور سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م في عائلة هندوسية، ثم أسلم، واستقر في الهند بعد التقسيم. وفيها توفي في مومباي سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م. نشأ نشأة ميسورة، وتوفيت والدته في طفولته، وعاش حياة النبلاء في شبابه، وابتعثه والده - وكان رجل أعمال مرموقاً - لدراسة القانون في

^(١٧) الطريق إلى المدينة؛ تأليف: أبي الحسن علي الحسيني الندوي. ط٤: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. دار القلم -

دمشق / سورية. ص ٨٥ فما بعدها. وللد بقية يطالعها من شاء في الكتاب.

إنجلترا، فأتقن اللغة الإنجليزية، وتدرج في مناصب عليا في بلاده، وأثار زواجه من امرأة مسلمة سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م ضجة كبيرة في الأوساط المحلية، وبعدها بنحو عشر سنوات أشهر إسلامه سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م. حورب بسبب إسلامه، وعورض معارضة شديدة، وشُوهِت سمعته، وازدادت المضايقات تجاهه بعد وفاة والده سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م، وجُر إلى المحاكم في قضايا ملفقة، وخسر الكثير من أمواله، حتى انقلب إلى حياة الفقر آخر أيامه. وبعد وفاته كتب الصحافي الهندي خوشوانت سينج (Khushwant Singh): «لو توفي كانايا لال جابا قبل خمسين سنة لخرج نصف سكان لاهور في جنازته، أما اليوم فلم يشيعه سوى عشرة فقط ممن أحزنهم رحيله!».

ترك أكثر من عشرين كتابا، معظمها ألفها بعد إسلامه، وكتب أكثرها بالإنجليزية^(١٨).

وكتابه ليس من القيمة العلمية بمكان بقدر ما هو شهادة على محبته الكبيرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ألفه بعد سنة من إشهار إسلامه ليقدم برهانا ملموسا على قناعته بالإسلام من خلال سيرة نبيه، وهو دعوة منه إلى غيره ليستكشف سر إعجابه بهذا الدين الحنيف.

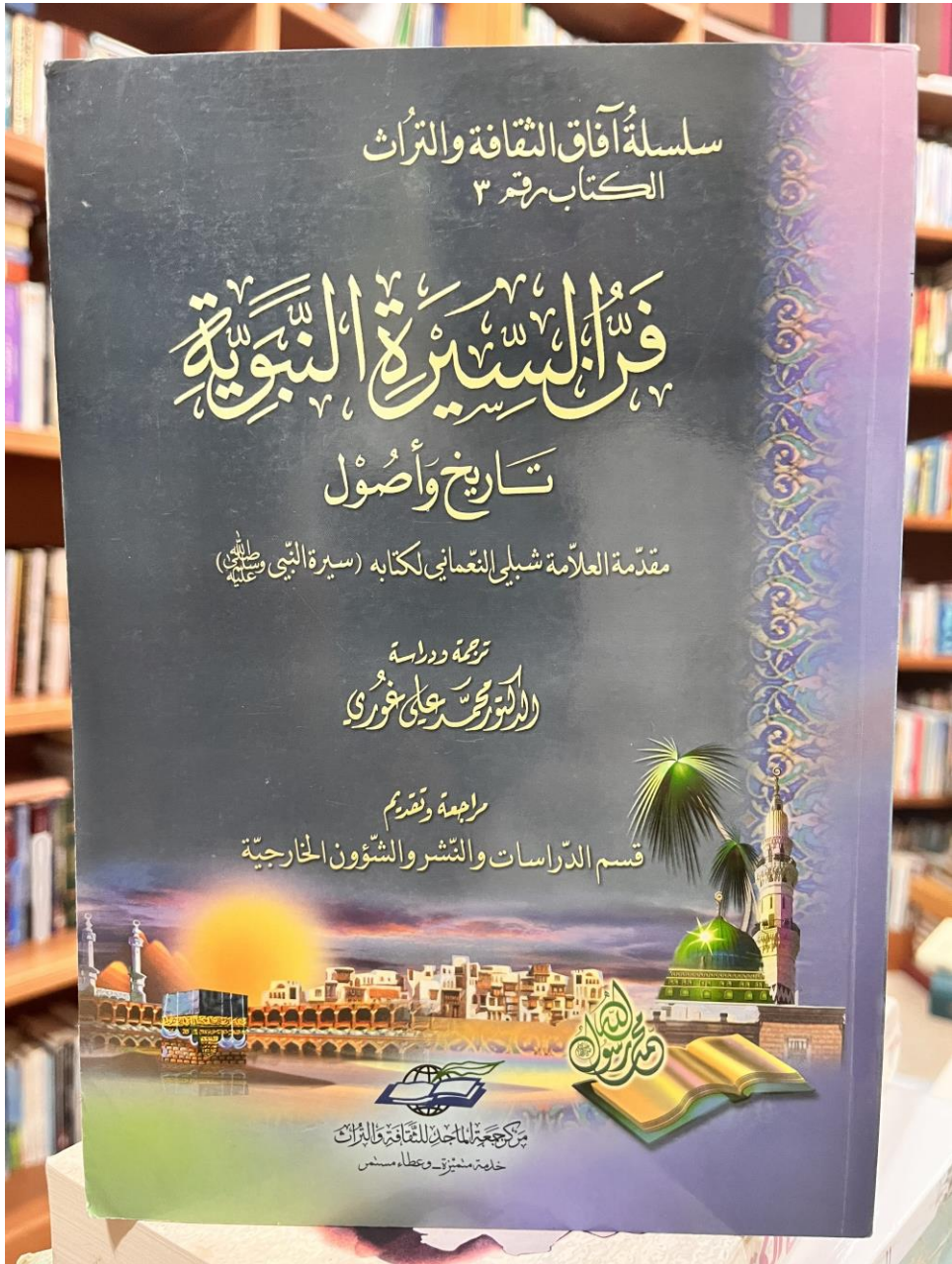
^(١٨) ترجمته ملخصة من كتابه: أصدقاء وأعداء (سيرة ذاتية) الصادر سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

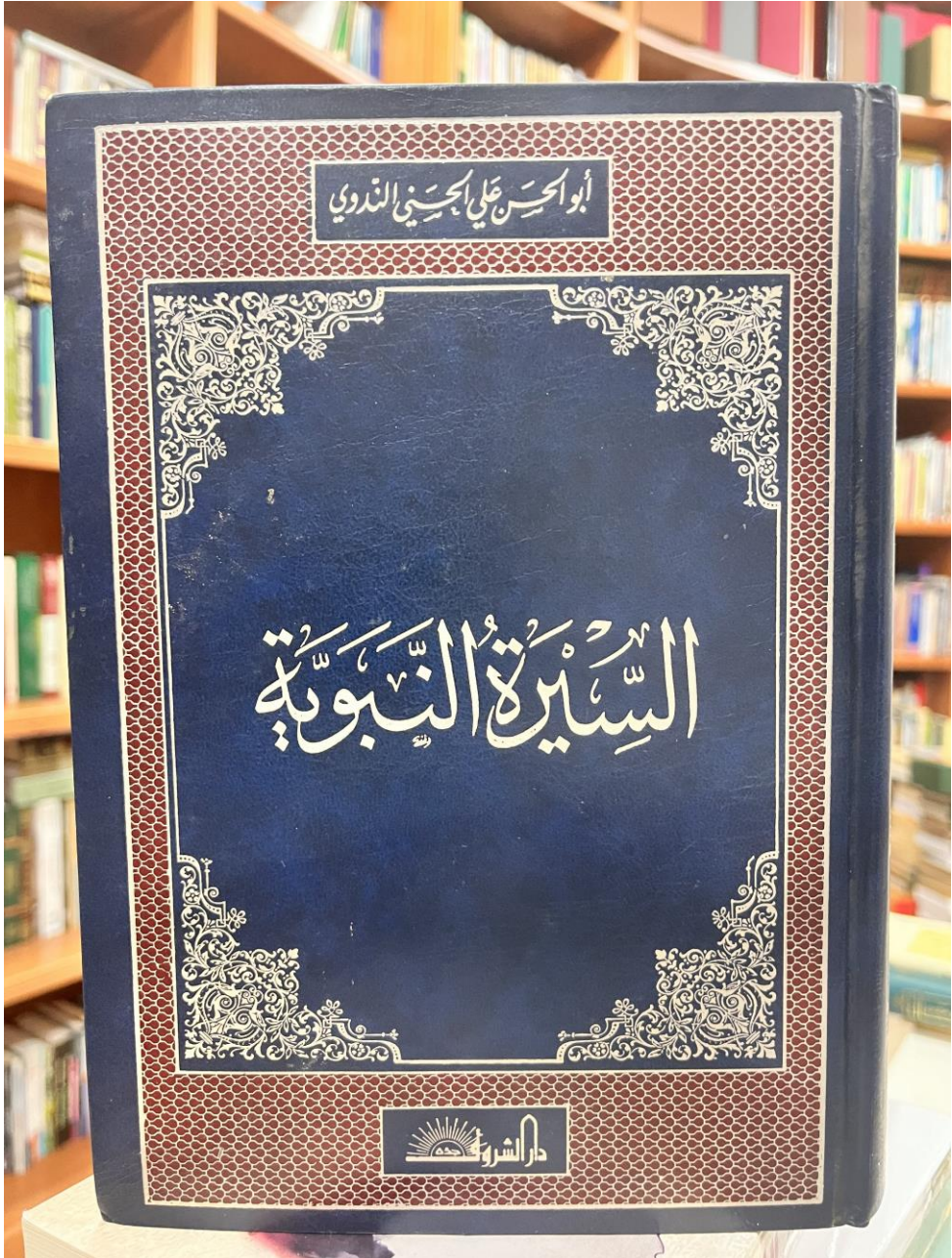
1974 Friends and Foes (Auto biography). والشكر لمن ساعدني في استخلاص

قال في مقدمته: «إن كتابي هذا موجه إلى المسلم وغير المسلم، إلى المؤمن وغير المؤمن، إلى الكاهن وغير الكاهن، إلى المذنب، إلى الرأسمالي وإلى الاشتراكي، إلى الإمبريالي وإلى الديمقراطي، إلى الذي يؤدي فرائض الصلاة بانتظام وإلى الذي لا يعرف الصلاة، إلى هؤلاء جميعاً..»

إلى القارئ مهما تكن له من آراء في قضية الحياة أو الموت، وسواء كان يؤمن بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، وسواء كان يؤمن بأنه سوف يتحلل إلى ذرات وإلكترونات بعد الموت، أو كان يؤمن بتناسخ الأرواح، أو كان يرغب بأن يُدفن أو يحرق أو يلقي بجثته إلى النسور بعد وفاته، فإنه لا شك سوف يجد في مادة هذا الكتاب قصة رائعة مثيرة، لرجل عادي؛ استطاع أن يضيف على معاصريه، وعلى أجيال كثيرة تعاقبت من بعده؛ فيضاً من السعادة والأخوة».

نقل الكتاب إلى العربية المترجم العُماني: محمد أمين عبد الله (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، وهو اسم معروف في الأوساط العمانية، منقوش على واجهة كتب كثيرة أصدرتها وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، وكتب تقديماً له الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي، وصدر عن دار النهضة للطباعة والنشر بمسقط سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.





المجموعة المهمة

لبناء وتشفيف الأمة

تأليف
فضيلة الشيخ
صفي الرحمن المباركفوري
الجامعة السلفية - الهند



الرحيق المختوم

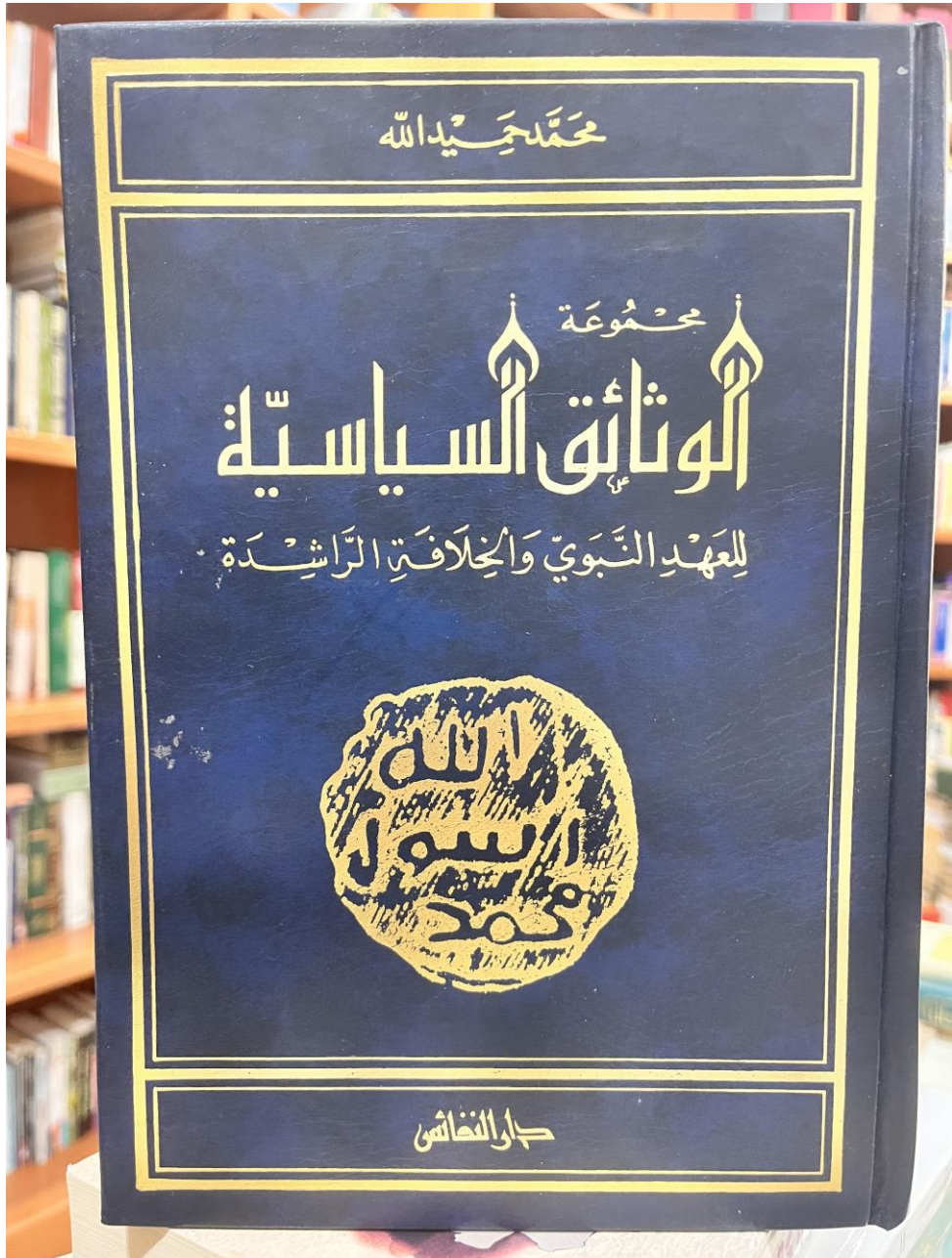
بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

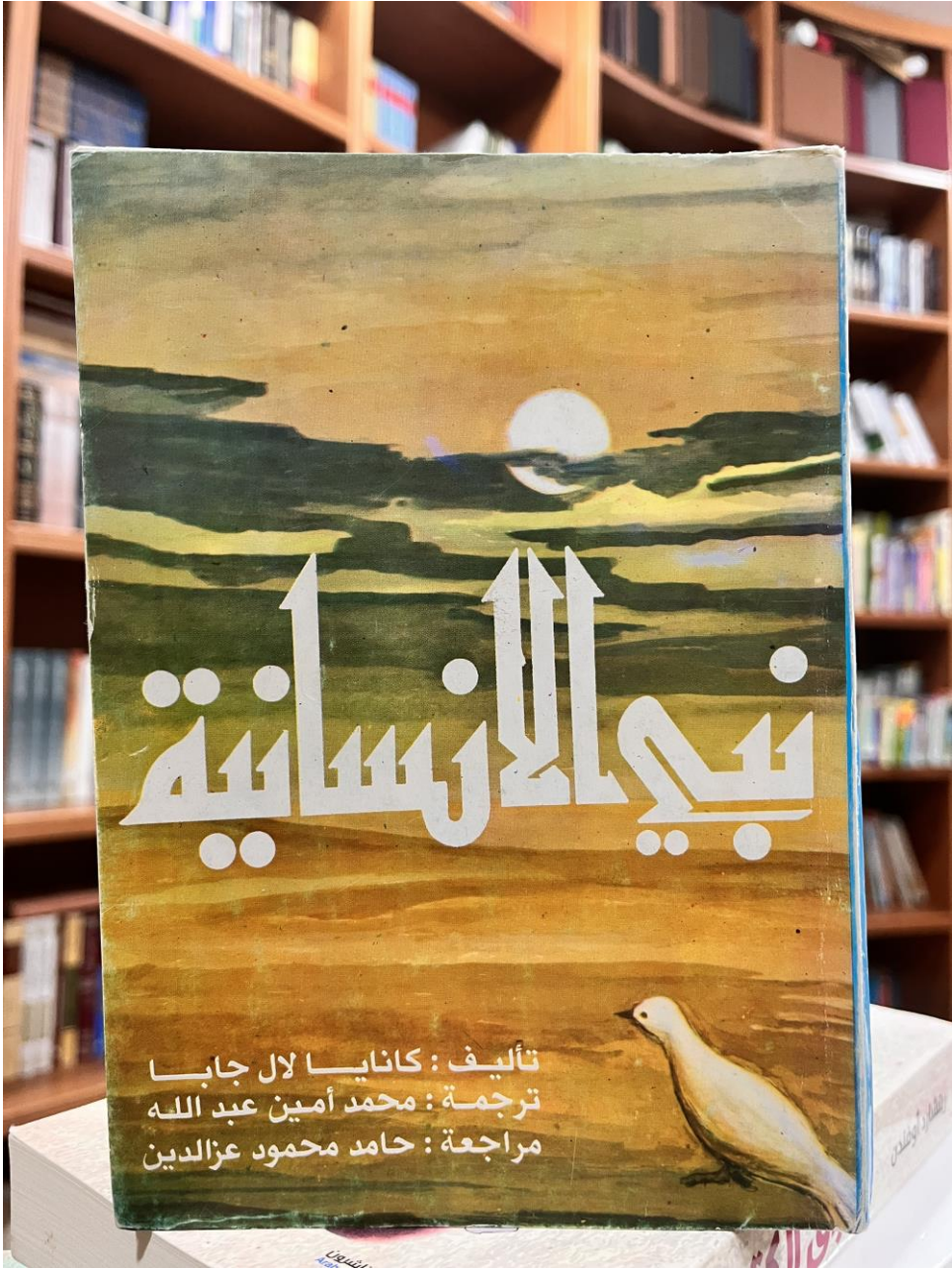
البحث الفائز

بالجائزة الأولى لسابقة السيرة النبوية التي نظمتها
رابطة العالم الإسلامي

دار الأمان

للطباعة والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الحياط - مصطفي كامل
أسكندرية ت : ٥٤٥٧٦٦





[د]

خاتمة

يخلص الكاتب الأمريكي كينيث وولف (Kenneth Baxter Wolf) في مقال له بعنوان: «الروايات اللاتينية المبكرة التي عاصرت محمدا» (The Earliest Latin Lives of Muhammad: Texts and Contexts)^(١٩) إلى أن صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي رَسَمَتْها تلك الروايات منذ القرن الثامن الميلادي هي: أنه كان «كاذبا مخادعا.. مُرابيا جشعا.. داهية ظلاميا.. متعطشا لسفك الدم البشري.. حفظ عن ظهر قلب التعاليم المسيحية، وتلاعب بـ (العرب الجهلة) لتحقيق غاياته المستبدة»^(٢٠).

^(١٩) **The Earliest Latin Lives of Muhammad**, in Michael Gervers and Ramzi Jibran Bikhazi, eds., *Conversion and Continuity: Indigenous Christian Communities in Islamic Lands, Eighth to Eighteenth Centuries*. By Kenneth Baxter Wolf. Pontifical Institute of Mediaeval Studies, Toronto, 1990, pp. 89-101.

^(٢٠) أليس عجباً أن تظل مثل هذه الروايات مُعششة في رؤوس كثير من الغربيين إلى يومنا هذا؟ وأين تذهب عنّا تلك الصورة الذهنية التي تُصوّر لنا الغرب شعوبا قارئة مثقفة؟ إن كثيرا من الانطباعات الغربية عن الإسلام تبعث على الشك في مصداقية أنهم يقرأون! إلا إن كان المقصود أنهم يقرأون (القصص البوليسية) و(روايات الجنس) و(مغامرات السحر والشعوذة). وإلا فإن المواقف الغربية تجاه المسلمين لا يمكن أن تُبرر بالانسياق وراء الخطاب الإعلامي المحرّض الذي يقوده طُغمة من الناس لا يتعدون الخمسة في المئة!

ضع هذا في ذهنك، ثم عرّج على كتاب صدر حديثاً بعنوان «وجوه محمد: التصورات الغربية عن نبي الإسلام من العصور الوسطى حتى اليوم»

(Faces of Muhammad: Western Perceptions of the Prophet of Islam from the

Middle Ages to Today) للمؤرخ والأكاديمي الفرنسي جون تولان

(منشورات جامعة برينستون - ٢٠١٩م)^(٢١). يذهب الكاتب في دراسته هذه

إلى أن الأجدد بنا القول إن الكتابات الغربية لا تتحدث عن محمد نبي

الإسلام، وإنما عن (مواميد، ماثومي، ماهوما، ماهوميت) أي الشخصية

التي تحيّلها ورسمها كُتّابٌ أوروبيون غير مسلمين بمختلف طرق الهجاء

المشوش لاسمه الموجود في اللغات الأوروبية. وكما شوشوا اسمه شوهوا

سيرته فנסجوا تاريخه من محض خيالهم.

ذكر الكاتب حادثة مهمة ذات مغزى لموضوع كتابه، جرت في ٢

تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨٠٨م عندما التقى الأديب الألماني غوته

والامبراطور الفرنسي نابليون بونابرت في مدينة إرفورت الألمانية التي

احتلها الفرنسيون، وتناقشا في السياسة وتحدثا في الأدب. وعندما علم

نابليون أن غوته ترجم (مسرحية محمد) للفيلسوف الفرنسي فولتير إلى

الألمانية عَقَّب قائلاً إنها لم تكن مسرحية جيدة، ورسمتُ صورة مشوهة

لفاتح عالمي ورجل عظيم غير مجرى التاريخ.

⁽²¹⁾ **Faces of Muhammad: Western Perceptions of the Prophet of Islam from the Middle Ages to Today.** by John V. Tolan, 2019, 328 pp. Published by: Princeton University Press.

وللإنصاف نقول إن كلا الرجلين (فولتير وغوته) غَيَّرَ وجهة نظره تجاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد قراءة معمقة في سيرته. وكانت كتابات فولتير إحدى المحفزات للدكتور الأميركي مايكل هارت إلى البحث العميق، ورصد ١٠٠ شخصية مؤثرة في تاريخ البشرية، جعل على رأسهم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابه (المئة الأوائل)^(٢٢). وفي كتاب «محمد عند علماء الغرب» جمع الشيخ خليل ياسين وابنه الدكتور محمد ياسين^(٢٣) سجلا واسعا من شهادات الغرب في حق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وسارت على منوالهم مؤلفات عدة، رأيت من آخرها: كتاب المؤلف يامن الحجة: «محمد صلى الله عليه وسلم في أعينهم»^(٢٤). ومَنْ يتأمل في الشهادات سيرى في كثير منها اعتذاراً عن صورة مشوهة لنبي الإسلام، كانت سائدة في الكتابات الغربية^(٢٥).

^(٢٢) المئة الأوائل؛ بقلم: مايكل هارت. ترجمة: خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو. الطبعة السابعة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع. ٣١٧ صفحة.

^(٢٣) محمد صلى الله عليه وسلم عند علماء الغرب؛ تأليف: خليل ياسين، ومحمد خليل ياسين. الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م. دار العلم والحكمة - بيروت/ لبنان. ٥٢٨ صفحة.

^(٢٤) محمد صلى الله عليه وسلم في أعينهم؛ بقلم: يامن الحجة. الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. دار القلم - دمشق/ سورية. ٢٥٥ صفحة.

^(٢٥) ناقش الدكتور سامي عامري هذا الموضوع من زوايا علمية أخرى، في كتابه الرصين: الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي - شبهات وردود. ط ٨: ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م. مركز رواسخ/ الكويت.

فذلكة القول: أن لا عَدُوَّ للمرء كالجهل، وأنَّ القراءة من المصادر الأصيلة خيرُ سبيل للوصول إلى المعرفة الحقّة، وها هي سيرة محمد صلى الله عليه وسلم اليوم بكل لغات العالم^(٢٦)، فَمَنْ يُغلق عينيه دون النور يَضِيرُ عينيه ولا يضير النور^(٢٧).

^(٢٦) لا تفوتني الإشادة هنا بجهود الشيخ العزيز د. صفوت مصطفى خيلوفيتش (من علماء البوسنة) في كتابه الجميل: «السيرة النبوية بثوبها الجديد»؛ الذي صدرت طبعته الثامنة - إلى الآن - باللغة البوسنية، وتُرجم إلى العربية، والإنجليزية، والألمانية، والإسبانية، والتشيكية، وغيرها، وله قبول واسع في الأوساط الغربية.

^(٢٧) اقتباس من كلام الدكتور نظمي لوقا؛ في كتابه: محمد الرسالة والرسول. ط ٢: المحرم ١٣٧٨هـ / أغسطس ١٩٥٩ م. مطابع دار الكتاب العربي - القاهرة/ مصر. ص ٢٥.



Faces *of* Muhammad

WESTERN PERCEPTIONS
OF THE PROPHET
OF ISLAM FROM THE
MIDDLE AGES TO TODAY

John Tolan

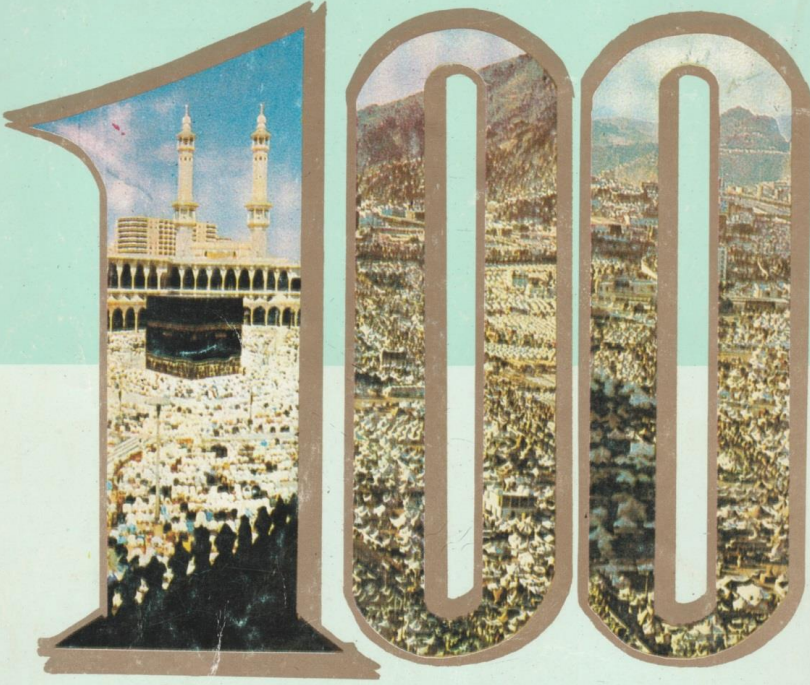
L'ALCORAN
 DE
 MAHOMET.
 TRANSLATE'
 D'ARABE EN FRANCOIS.
 PAR LE SIEVR. DV^s RTER,
Sieur de la Garde Malé^zair.



A PARIS,
 Chez ANTOINE DE SOMMAVILLE, Au
 Palais dans la Salle des Merciers, à l'Escu de France.

M. DC. XLVII.
 AVEC PRIVILEGE DV ROY.

الدكتور ما بكل هارت



المائة الألف

ترجمة
الإستاذة الأستاذة عيسى
الحاجي أحمد غسان سبأنو

دار قتيبة

مجمع
عند
علماء الغرب

العلامة الشيخ خليل ياسين
والدكتور محمد ياسين

دار الكتاب اللبناني

دار الكتاب المصري

يامن الحجة



في أعينهم



دار الفاء
دمشق

